# دروس

## من واقعة الطف

# الدرس الاول
# أسباب الثورة الحسينية ومخططاتها

احاطت بالامام ( ع ) عدة من المسؤوليات الدينية والواجبات الاجتماعية وغيرها ، فحفزته الى الثورة ودفعته الى التضحية والفداء وهذه بعضها .

١ – المسؤولية الدينية :

واعلن الاسلام المسؤولية الكبرى على كل مسلم عما يحدث في بلاد المسلمين من الاحداث والازمات التي تتنافي مع دينهم ، وتتجافي مع مصالحهم ، فانه ليس من الاسلام في شئ أن يقف المسلم موقفا يتسم بالميوعة واللامبالات أما الهزات التي تدهم الامة وتدمر مصالحها ، وقد أعلن الرسول ( ص ) هذه المسؤولية ، يقول ( ص ) : كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " فالمسلم مسؤول أمام الله عن رعاية مجتمعه ،والسهر على صالح بلاده ، والدفاع عن أمته . وعلى ضوء هذه المسؤولية الكبرى ناهض الامام جور الامويين ،

**وناجز مخططاتهم الهادفة الى استعباد الامة واذلالها ، ونهب ثرواتها ، وقد أدلى ( ع ) بما يحتمه الاسلام عليه من الجهاد لحكم الطاغية يزيد ، امام الحر وأصحابه قال ( ع ) :" يا أيها الناس : إن رسول الله ( ص ) قال : " من راى سلطاناجائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله ، مخالفا لسنة رسول الله ( ص )يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقا على الله أن يدخله مدخله " .لقد كان الواجب الديني يحتم عليه القيام بوجه الحكم الاموي الذي استحل حرمات الله ، ونكث عهوده وخالف سنة رسول الله ( ص ) ، وقد صرح جماعة من علماء المسلمين بان الواجب الديني كان يقضي على الامام أن ينطلق في ميادين الجهاد دفاعا عن الاسلام ، وفيما يلي بعضهم .**

**١ – الامام محمد عبده**

**والمع الامام محمد عبده في حديثه عن الحكومة العادلة والجائرة في الاسلام إلى خروج الامام على حكومة يزيد ، ووصفه بانه كان واجبا شرعيا عليه ، قال : " اذا وجد في الدنيا**

**حكومة عادلة تقيم الشرع ، وحكومة جائرة تعطله ، وجب على كل مسلم نصر الاولى ، وخذل الثانية . . .ومن هذا الباب خروج الامام الحسين ( ع ) سبط الرسول ( ص ) على امام الجور والبغي الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمنكر يزيد بن معاوية خذله الله ، وخذل من انتصر له من الكرامية والنواصب**

**٢ – محمد عبد الباقي**

**وتحدث الاستاذ محمد عبد الباقي سرور عن المسؤولية الدينية والاجتماعية اللتين تحتمان على الامام القيام بمناهضة حكم يزيد قال :" لو بايع الحسين يزيد الفاسق المستهتر ، الذي اباح الخمر والزنا وحط بكرامة الخلافة الى مجالسة الغانيات ، وعقد حلقات الشراب في مجلس الحكم ، والذي البس الكلاب والقرود خلاخل من ذهب ، ومئات الالوف من السلمين صرعى الجوع ، والحرمان .لو بايع الحسين يزيد أن يكون خليفة لرسول الله ( ص ) على هذا الوضع لكانت فتيا من الحسين بإباحة هذا للمسلمين ، وكان سكوته هذا أيضا رضى ، والرضا من ارتكاب المنكرات ولو بالسكوت اثم**

وجريمةفي حكم الشريعة الاسلامية . . والحسين بوضعه الراهن في عهد يزيد هوالشخصية المسؤولة في الجزيرة العربية بل في البلاد الاسلامية كافة عن حماية التراث الاسلامي لمكانته في المسلمين ، ولقرابته من رسول رب العالمين ،ولكونه بعد موت كبار المسلمين كان أعظم المسلمين في ذلك الوقت علما ورهدا وحسبا ومكانة . فعلى هذا الوضع أحسن المسؤولية تناديه وتطلبه لا يقاف المنكرات عند حدها ، ولا سيما ان الذي يضع هذه المنكرات ويشجع عليها هو الجالس في مقعد رسول الله ( ص ) هذا أولا :

وثانيا : انه ( ع ) جاءته المبايعات بالخلافة من جزيرة العرب ،وجاءه ثلاثون الفا من الخطابات من ثلاثين الف من العراقيين من سكان البصرة والكوفة يطلبون فيها منه الشخوص لمشاركتهم في محاربة يزيد بن معاوية ، وألحوا تكرار هذه الخطابات حتى قال رئيسهم عبد الله بن الحصين الازدي : يا حسين سنشكوك الى الله تعالى يوم القيامة اذا لم تلب طلبنا ، وتقوم بنجدة الاسلام ، وكيف والحسين ذو حمية دينية ونخوة

اسلامية ،والمفاسد تترى أمام عينيه ، كيف لا يقوم بتلبية النداء ، وعلى هذا الوضع لبى النداء ، كما تامر به الشريعة الاسلامية ، وتوجه نحو العراق

وهذا الراي وثيق للغاية فقد شفع بالادلة الشرعية التي حملت الامام مسؤولية الجهاد والخروج على حكم طاغية زمانه .

٣ – عبد الحفيظ أبو السعود

يقول الاستاذ عبد الحفيظ أبو السعود : " وراى الحسين أنه مطالب الان – يعني بعد هلاك معاوية – أن يعلن رفضه لهذه البيعة ، وان ياخذ البيعة لنفسه من المسلمين ، وهذا اقل ما يجب حفاظا لامر الله ، ورفعا للظلم ، وابعادا لهذه العابث يعني يزيد – عن ذلك المنصب الجليل.

٤ – الدكتور احمد محمود صبحي

وممن صرح بهذه المسؤولية الدينية الدكتور احمد محمود صبحي قال : " ففي اقدام الحسين على بيعة يزيد انحراف عن أصل من اصول الدين من حيث أن السياسة الدينية للمسلمين لا ترى في ولاية العهد وراثة الملك إلا بدعة هرقلية دخيلة على

الاسلام ، ومن حيث أن اختيار شخص يزيد مع ما عرف عنه من سوء السيرة ، وميله الى اللهو وشرب الخمر ، ومنادمة القرود ليتولى منصب الخلافة عن رسول الله ( ص ) اكبر وزر يحل بالنظام السياسي للاسلام . يتحمل وزره كل من شارك فيه ورضى عنه ، فما بالك اذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله .كان خروج الحسين اذا أمرا يتصل بالدعوة والعقيدة اكثر مما يتصل بالسياسة والحرب

٥ – العلائلي

يقول العلائلي : " وهناك واجب على الخليفة اذا تجاوزه وجب على الامة اسقاطه ، ووجبت على الناس الثورة عليه وهو المبالغة باحترام القانون

الذي يخضع له الناس عامة ، والا فاي تظاهر بخلافه يكون تلاعبا وعبثا ،ومن ثم وجب على رجل القانون أن يكون اكثر تظاهرا باحترام القانون من أي شخص آخر ، واكبر مسؤولية من هذه الناحية ، فاذا فسق الملك ثم جاهر بفسقه وتحدى الله ورسوله والمؤمنين لم يكن الخضوع له إلا خضوعا للفسق

وخضوعا للفحشاء والمنكر ، ولم يكن الاطمئنان إليه الا اطمئنانا للتلاعب والمعالنة الفاسقة .

هذا هو المعنى التحليلي لقوله ( ع ) : " ويزيد رجل فاسق ، وشارب للخمر وقاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق

هذه بعض الاراء التي أدلي بها جماعة من العلماء في الزام الامام شرعا بالخروج على حكم الطاغية يزيد ، وانه ليس له أن يقف موقفا سلبيا أمام ما يقترفه يزيد من الظلم والجور .

٢ – مسؤولية الاجتماعية :

وكان الامام ( ع ) بحكم مركزه الاجتماعي مسؤولا أمام الامة عما منيت به من الظلم والاضطهاد من قيل الامويين ، ومن هو أولى بحمايتها ورد الاعتداء عنها غيره فهو سبط رسول الله ( ص ) وريحانته ، والدين دين جده ، والامة أمة جده ، وهو المسؤول بالدرجة الاولى عن رعايتهما .

لقد راى الامام أنه مسؤول عن هذه الامة ، وانه لا يجدي باي حال في تغيير الاوضاع الاجتماعية التزام جانب الصمت ، وعدم الوثوب في وجه الحكم الاموي الملئ بالجور والاثام ،

فنهض ( ع ) باعباء هذه المسؤولية الكبرى ، وأدى رسالته بامانة واخلاص ، وضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه ليعيد على مسرح الحياة عدالة الاسلام وحكم القران

٣ – اقامة الحجة عليه :

وقامت الحجة على الامام لاعلان الجهاد ، ومناجزة قوى البغي والالحاد ، فقد تواترت عليه الرسائل والوفود من أقوى حامية عسكرية في الاسلام ، وهي الكوفة فكانت رسائل أهلها تحمله المسؤولية أمام الله إن لم يستجب لدعواتهم الملحة لانقاذهم من عسف الامويين وبغيهم ، ومن الطبيعي أنه لو لم يجيبهم لكان مسؤولا أمام الله ، وأمام الامة في جميع مراحل التاريخ ، وتكون الحجة قائمة عليه .

٤ – حماية الاسلام :

ومن أوكد الاسباب التي ثار من أجلها حفيد الرسول ( ص ) حماية الاسلام من خطر الحكم الاموي الذي جهد على محو سطوره ، وقلع جذوره واقبار قيمه ، فقد أعلن يزيد وهو على دست الخلافة الاسلامية الكفر والالحاد بقوله :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر * جاء ولا وحي نزل

وكشف هذا الشعر عن العقيدة الجاهلية التي كان يدين بها يزيد فهو لم يؤمن بوحي ولا كتاب ، ولا جنة ولا نار ، وقد راى السبط أنه ان لم يثار لحماية الدين فسوف يجهز عليه حفيد أبي سفيان ويجعله أثرا بعد عين ، فثار ( ع ) ثورته الكبرى التي فدى بها دين الله ، فكان دمه الزاكي المعطر بشذى الرسالة ، هو البلسم لهذا الدين ، فان من المؤكد أنه لو لا تضحيته لم يبق للاسلام اسم ولا رسم ، وصار الدين دين الجاهلية ودين الدعارة والفسوق ، ولذهبت سدى جميع جهود النبي ( ص ) وما كان ينشده للناس من خير وهدى ، وقد نظر النبي ( ص ) من وراء الغيب واستشف مستقبل امته ، فراى بعين اليقين ، ما تمنى به الامة من الانحراف عن الدين ، وما يصيبها من الفتن والخطوب على أيدي أغيلمة من قريش ، وراى أن الذي يقوم بحماية الاسلام هو الحسين ( ع ) فقال ( ص ) كلمته الخالدة : " حسين مني وأنا من حسين " فكان النبي ( ص ) حقا من الحسين لان تضحيته كانت وقاية للقران

، وسيبقي دمه الزكي يروي شجرة الاسلام على ممر الاحقاب والاباد

**٥ – صيانة الخلافة :**

ومن المع الاسباب التي ثار من أجلها الامام الحسين ( ع ) تطهيرالخلافة الاسلامية من أرجاس الامويين الذين نزوا عليها بغير حق . . فلم تعد الخلافة – في عهدهم كما يريدها الاسلام – وسيلة لتحقيق العدل الاجتماعي بين الناس ، والقضاء على جميع أسباب التخلف والفساد في الارض . لقد اهتم الاسلام اهتماما بالغا بشان الخلافة باعتبارها القاعدة الصلبة لاشاعة الحق والعدل بين الناس ، فاذا صلحت نعمت الامة باسرها ،واذا انحرفت عن واجباتها فان الامة تصاب بتدهور سريع في جميع مقوماتها الفكرية والاجتماعية . . . ومن ثم فقد عنى الاسلام في شانها أشد ما تكون العناية ، فالزم من يتصدى لها بان تتوفر فيه النزعات الخيرة والصفات الشريفة من العدالة والامانة ، والخبرة بما تحتاج إليه الامة في مجالاتها الاقتصادية والادارية والسياسية ، وحرم على من فقد

هذه الصفات أن يرشح نفسه للخلافة . . وقد تحدث ( ع ) في أولى رسائله الى أهل الكوفة عن الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يرشح نفسه الى امامة المسلمين وادارة شؤونهم قال ( ع ) : " فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب ، والاخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله.فمن تخلى بهذه الصفات كان له الحق في تقديم نفسه لامامة المسلمين وخلافتهم ، ومن لم يتصف بها فلا حق له في التصدي لهذا المركز الخطير الذي كان يشغله الرسول ( ص ) . . . ان الخلافة الاسلامية ليست مجرد سلطة زمينة على الامة ، وانما هي نيابة عن الرسول ( ص ) وامتداد ذاتي لحكومته المشرقة .وقد راي الامام الحسين أن مركز جده قد صار الى سكير مستهتر لا يعي الا شهواته ورغباته ، فثار ( ع ) ليعيد للخلافة الاسلامية كيانها المشرق وماضيها الزاهر .

٦ – تحرير ارادة الامة :

ولم تملك الامة في عهد معاوية ويزيد ارادتها واختيارها فقد كانت جثة هامدة لا وعي فيها ولا اختيار ، قد كبلت بقيود

ثقيلة سدت في وجهها منافذ النور والوعي ، وحيل بينها وبين ارادتها . لقد عمل الحكم الاموي على تخدير المسلمين وشل تفكيرهم ، وكانت قلوبهم مع الامام الحسين ، الا انهم لا يتمكنون من متابعة قلوبهم وضمائرهم فقد استولت عليها حكومة الامويين بالقهر ، فلم يملكوا من أمرهم شيئا ، فلا ارادة لهم ولا اختيار ، ولا عزم ولا تصميم فاصبحوا كالانصاب لا وعي فيهم ولا حراك ، قد قبعوا أذلاء " صاغرين تحت وطاة سياط الامويين وبطشهم " .

لقد هب الامام الى ساحات الجهاد والفداء ليطعم المسلمين بروح العزة والكرامة ، فكان مقتله نقطة تحول في تاريخ المسلمين وحياتهم ، فانقلبوا راسا على عقب ، فتسلحوا بقوة العزم والتصميم ، وتحرروا ومن جميع السلبيات التي كانت ملمة بهم ، وانقلبت مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت جاثمة عليهم الى مبادئ الثورة والنضال ، فهبوا متضامنين في ثورات مكثفة ، وكان شعارهم ( يا لثارات الحسين ) فكان هذا الشعار

هـو الـصرخة المدويـة التـي دكـت عـروش الامـويين وازالـت سلطانهم .

٧ – تحرير اقتصاد الامة :

وانهـار اقتـصاد الامـة الـذي هـو شـرايين حياتهـا الاجتماعيـة والفرديـة فقـد عمـد الامـويين بـشكل سـافر الـى نهـب الخزينـة المركزيـة والاسـتئثار بـالفئ وسـائر تمـرات الفتـوح والغنـائم ، فحازوا الثراء العريض ، وتكدسـت في بيـوتهم الامـوال الهائلـة التـي حـاروا في صـرفها ، وقـد اعلـن معاويـة امـام المـسلمين ان المـال مـال الله ، ولـيس مـال المـسلمين فهـو أحـق بـه ، ويقـول سـعيد بـن العـاص : انمـا الـسواد بـستان قـريش ، وقـد أخـذوا ينفقـون الامـوال علـى اغراضـهم الـسياسية التـي لا تمـت بـصلة لصالح الامة . أما مواد انفاقهم البارزة فهي :

أ – شـراء الـضمائر والاديـان ، وقـد تقـدمت الـشواهد المؤيـدة لذلك عند البحث عن سياسة معاوية الاقتصادية .

ب – الانفاق على لجان الوضع لافتعال الاخبار التي تدعم الكيان الاموي وتحط من قيمة أهل البيت ، وقد المعنا الى ذلك بصورة مفصلة .

ج – الهبات الهائلة والعطايا الوافرة للوجوه والاشراف لكم افواههم عما تقترفه السلطة من الظلم للرعية .

د – الصرف على المجون والدعارة ، فقد امتلئت بيوتهم بالمغنين والمغنيات وادوات العزف وسائر المنكرات .

هذه بعض الموارد التي كان ينفق عليها الاموال ، في حين أن الجوع قد نهش الامة وعمت فيها المجاعة ، وانتشر شبح الفقر في جميع الاقطار الاسلامية سوى الشام فقد رفه عليها لانها الحصن المنيع الذي كان يحمي جور الامويين وظلمهم وقد ثار الامام الحسين ( ع ) ليحمي اقتصاد الامة ويعيد توازن حياتها المعاشية ، وقد صادر أموالا من الخراج كانت قد ارسلت لمعاوية ، كما صادر اموالا اخرى ارسلت من اليمن الى خزينة دمشق في أيام يزيد ، وقد انفقها على الفقراء والمعوزين ، وكان ( ع ) اكثر ما يعاني من الالام هو انه يرى الفقر قد

أخذ بخناق المواطنين ، ولم ينفق شئ من بيت المال على انعاش حياتهم .

٨ – المظالم الاجتماعية :

وانتشرت المظالم الاجتماعية في انحاء البلاد الاسلامية ، فلم يعد قطرمن الاقطار إلا وهو يعج بالظلم والاضطهاد من جورهم ، وكان من مظاهر ذلك الظلم ما يلي :

١ – فقد الامن

وانعدم الامن في جميع أنحاء البلاد ، وساد الخوف والارهاب على جميع المواظنين ، فقد أسرفت السلطة الاموية بالظلم ، فجعلت تاخذ البرئ بالسقيم ، والمقبل بالمدبر ، وتعاقب على الظنة والتهمة ، وتسوق الابرياء بغير حساب الى السجون والقبور ، وكان الناس في عهد زياد يقولون : " انج سعد فقد هلك سعيد " ولا يوجد أحد الا وهو خائف على دمه ، وماله ، فثار الامام الحسين ( ع ) لينقذ الناس من هذا الجور الهائل .

٢ – احتقار الامة

وكان الخط السياسي الذي انتهجه الامويون العمل على اذلال الامة والاستهانة بها وكان من مظاهر ذلك الاحتقار انهم كانوا يختمون في اعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم كما نقشوا على اكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة وقد هب الامام ( ع )في ميادين الجهاد ليفتح للمسلمين أبواب العزة والكرامة ، ويحطم عنهم ذلك الكابوس المظلم الذي احال حياتهم الى ظلام قاتم لا بصيص فيه من النور .

٩ – المظالم الهائلة على الشيعة :

وذهبت نفس الامام الحسين أسى على ما عانته الشيعة – في عهد معاوية – من ضروب المحن والبلاء ، فقد أمعن معاوية في ظلمهم وارهاقهم وفتك بهم فتكا ذريعا ، وراح يقول للامام الحسين : " يا أبا عبد الله علمت أنا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم

وقد بذل قصارى جهوده في تصفية الحساب معهم ،

**١ – اعدام اعلامهم كحجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي وصيفي بن فسيل وغيرهم .**

**٢ – صلبهم على جذوع النخل**

**٣ – دفنهم أحياءا**

**٤ – هدم دورهم**

**٥ – عدم قبول شهادتهم**

**٦ – حرمانهم من العطاء**

**٧ – ترويع السيدات من نسائهم**

**٨ – اذاعة الذعر والخوف في جميع أوساطهم**

**إلى غير ذلك من صنوف الارهاق الذي عالوه ، وقد ذعر الامام الحسين ( ع ) مما حل بهم ، فبعث بمذكرته الخطيرة لمعاوية التي سجل فيها جرائم ما ارتكبه في حق الشيعة ، وقد ذكرناها في البحث عن حكومة معاوية .**

**لقد كانت الاجراءات القاسية التي اتخذها الحكم الاموى ضد الشيعة من اسباب ثورته فهب لانقاذهم من واقعهم المرير ، وحمايتهم من الجور والظلم .**

**١٠ – محو ذكر اهل البيت :**

**ومن ألمع الاسباب التي ثار من أجلها أبو الشهداء ( ع ) هو ان الحكم الاموي قد جهد على محو ذكر أهل البيت ( ع ) واستئصال ماثرهم ومناقبهم وقد استخدم معاوية في هذا السبيل أخبث الوسائل وهي :**

**١ – افتعال الاخبار في الحط من شانهم**

**٢ – استخدام أجهزة التربية والتعليم لتربية النشئ على بغضهم**

**٣ – معاقبة من يذكر مناقبهم باقصى العقوبات**

**٤ – سبهم على المنابر والماذن وخطب الجمعة**

**وقد عقد الامام الحسين ( ع ) مؤتمرة الكبير في مكة المكرمة وأحاط المسلمين علما بالاجراءات الخطيرة التي اتخذها معاوية إلى ازالة أهل البيت عن الرصيد السلامي . . . وكان ( ع ) يتحرق شوقا إلى الجهاد ، ويود أن الموت قد وافاه ولا يسمع سب أبيه على المنابر والماذن .**

**١١ – تدمير القيم الاسلامية :**

وعمد الامويون إلى تدمير القيم الاسلامية ، فلم يعد لها اي ظل على واقع الحياة الاسلامية وهذه بعضها :

أ – الوحدة الاسلامية

وأشاع الامويون الفرقة والاختلاف بين المسلمين فاحيوا العصبيات القبلية ، وشجعوا الهجاء بين الاسر والقبائل العربية حتى لا تقوم وحدة بين المسلمين ، وقد شجع يزيد الاخطل على هجاء الانصار الذين آووا النبي ( ص ) وحاموا عن دينه أيام غربة الاسلام ومحنته .

لقد كانت الظاهرة البارزة في شعر ذلك العصر هي الهجاء المقذع فقد قصر الشعراء مواهبهم الاديبة على الهجاء والتفنن في أساليب القذف والسب للاسر التي كانت تنافس قبائلهم ، وقد خلى الشعر الاموي عن كل نزعة انسانية أو مقصد اجتماعي ، وتفرد بظاهرة الهجاء ، وقد خولف بذلك ما كان ينشده الاسلام من الوحدة الشاملة بين أبنائه

ب – المساواة

وهدم الامويون المساواة العادلة التي أعلنها الاسلام ، فقدموا العرب على الموالي واشاعوا جوا رهيبا من التوتر والتكتل السياسي بين المسلمين ، وكان من جراء ذلك أن الف الموالي مجموعة من الكتب في نقض العرب وذمهم ، كما ألف العرب كتبا في نقص الموالي واحتقارهم ، وعلى راس القائمة التي اثارت هذا النحو من التوتر بين المسلمين زياد بن أبيه فقد كان حاقدا على العرب ، وقد عهد الى الكتاب بانتقاصهم .

وقد خالفت هذه السياسة النكراء روح الاسلام الذي ساوى بين المسلمين في جميع الحقوق والواجبات على اختلاف قومياتهم

ج – الحرية

ولم يعد أي مفهوم للحرية ماثلا على مسرح الحياة طيلة الحكم الاموي فقد كانت السلطة تحاسب الشعب حسابا منكرا وعسيرا على كل بادرة لا تتفق مع رغباتها ، حتى لم يعد في مقدور أي أحد أن يطالب بحقوقه ، أو يتكلم ياي مصلحة

للناس فقد كان حكم النطع والسيف هو السائد في ذلك العصر .

لقد ثار أبو الاحرار لينقذ الانسان المسلم وغيره من الاضطهاد الشامل وبعيد للناس حقوقهم التي ضاعت في أيام معاوية ويزيد

١٢ – انهيار المجتمع :

وانهار المجتمع في عصر الامويين ، وتحلل من جميع القيم الاسلامية أما أهل العوامل التي أدت إلى انهياره فهي :

١ – حرمان المجتمع من التربية الروحية فلم يحفل بها أحد من الخلفاء سوى الامام أمير المؤمنين ( ع ) فقد عني بها عناية بالغة إلا انه قد مني بالاحداث الرهيبة التي منعته من مواصلة مسيرته في اصلاح الناس وتقويم اخلاقهم .

٢ – امعان الحكم الاموي في افساد المجتمع وتضليله ، وتغديته بكل ما هو بعيد عن واقع الاسلام وهديه .

ان هذين العاملين – فيما نحسب – من أهم العوامل التي أدت على الى انهيار ذلك المجتمع . . اما مظاهر ذلك التحلل والانهيار فهي :

**١ – نقض العهود**

ولم يتاثم أغلب أبناء ذلك المجتمع من نقض العهود والمواثيق ، فقد كان عدم الوفاء يها أمرا عاديا ، ومتسالما عليه ، وقد شجعهم على ذلك ( كسرى العرب ) ، فقد أعلن في خطابه بالنخيلة ان كل ما شرطه على نفسه للامام الحسن لا يفي به ، وعمد الى نقض جيمع الشروط التي أعطاها له . . وكانت هذه الظاهرة من ابرز ذاتيات الكوفيين ، فقد اعطوا للامام الحسين أعظم العهود والمراثيق على مناصرته ، ومناجزة عدوه إلا انهم خاسوا ما عاهدوا عليه الله فخذلوه وقتلوه .

**٢ – عدم التحرج من الكذب**

ومن الامراض التي أصيب بها ذلك المجتمع عدم التحرج من الكذب وقد مني الكوفيون بذلك بصورة خاصة ، فانهم لما أحاطوا بالامام الحسين ( ع ) – يوم الطف – لقتله ، وجه ( ع ) سؤالا الى قادة الفرق الذين كاتبوه بالقدوم اليهم فقال : " يا شبث بن ربعي ، ويا حجار بن ابجر ، ويا قيس بن الاشعث

، ويا زيد بن الحرث ، ألم تكتبوا إلي أن قد اينعت الثمار ، واخضر الجناب وانما تقدم على جند لك مجندة . . .

ولم تخجل تلك النفوس القدرة من تعمد الكذب فاجابوه مجمعين : " لم نفعل "

وبهر الامام فاندفع يقول : " سبحان الله ! ! بلى والله لقد فعلتم وقد جروا الى المجتمع بما اقترفوه من الاثام كثيرا من الويلات والخطوب ، وتسلح بهم أئمة الظلم والجور الى اضطهاد المسلمين وارغامهم على ما يكرهون ٣ – عرض الضمائر للبيع

وقد كان من أحط ما وصل إليه ذلك المجتمع من الانحراف والزيغ عرض الضمائر والاديان لبيعها على السلطة جهارا ، وقد المعنا الى ذلك بصورة مفصلة عند البحث عن عهد معاوية

٤ – الاقبال على اللهو

وأقبل المجتمع بنهم على اللهو والدعارة ، وقد شجع الامويون بصورة مباشرة حياة المجون لزعزعة العقيدة الدينية من النفوس

، وصرف الناس عما ينشده الاسلام من التوازن في سلوك الفرد .

هذه بعض الامراض التي المت بالمجتمع الاسلامي ، وقد أدت إلى تسيبه ، وانهيار قيمه وقد ثار الامام الحسين ( ع ) ليقضى على التذبذب والانحراف الذي منيت به الامة .

١٣ – الدفاع عن حقوقه :

وانبرى الامام الحسين ( ع ) للجهاد دفاعا عن حقوقه التي نهبها الامويون واغتصبوها ، وأهمها – فيما نحسب – ما يلي :

١ – الخلافة

وآمن الامام الحسين ( ع ) – كابيه – أن العترة الطاهرة أولى بمقام رسول الله ( ص ) وأحق بمركزه من غيرهم ، لانهم أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، بهم فتح الله ، وبهم ختم – على حد تعبيره – وقد طبع على هذا الشعور وهو في غضون الصبا ، فقد انطلق الى عمر وكان على منبر

رسول الله ( ص ) فصاح به . " انزل عن منبر أبي ، واذهب الى منبر أبيك " .

ولم ينفرد الامام الحسين بهذا الشعور وانما كان سائدا عند أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم يرون أن الخلافة من حقوقهم لانهم الصق الناس برسول الله ( ص ) واكثرهم وعيا لاهدافه . . وهناك شئ آخر جدير بالاهتمام وهو ان الحسين ( ع ) كان هو الخليفة الشرعي بمقتضى معاهدة الصلح التي تم الاتفاق عليها ، فقد جاء في بنودها ليس لمعاوية أن يعهد بالامر الى أحد من بعده والامر بعده للحسن ، فان حدث به حدث

فالامر للحسين وعلى هذا ، فلم تكن بيعة يزيد شرعية ، فلم يخرج الامام الحسين ( ع ) على امام من أئمة المسلمين – كما يذهب لذلك بعض ذوي النزعات الاموية وانما خرج ( ع ) على ظالم مغتصب لحقه .

٢ – الخمس

والخمس حق مفروض لاهل البيت ( ع ) نص عليه القران وتواترت به السنة ، ولكن الحكومات السابقة تناهيته فلم تؤد لهم منه شيئا لشل حركة المقاومة عند العلويين ، وقد أشار الامام الحسين ( ع ) الى ذلك في حديثه مع أبي هرة الذي نهاه عن الخروج على بني أمية ، فقال ( ع ) له : " ويحك أبا هرة ان بني أمية أخذوا مالي فصبرت " .

واكبر الظن ان المال الذي أخذته بنو أمية منه هو الخمس ، وقد أعلن ذلك دعبل الخزاعي في رائعته التي انشدها أمام الرضا ( ع ) في خراسان بقوله :

أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وايديهم من فيئهم صفرات

والتاع الامام الرضا ( ع ) فجعل يقلب يديه وهو يقول : انها – والله – صفرات "

وقد أقض مضاجع العلويين منعهم من الخمس باعتباره أحد المصادر الرئيسية لحياتهم الاقتصادية . ولعل الامام الحسين قد استهدف بنهضته ارجاع هذا الحق السليب لاهل البيت ( ع )

**١٤ - الامر بالمعروف :**

**ومن أوكد الاسباب التي ثار من أجلها أبي الضيم ( ع ) اقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانهما من مقومات هذا الدين ، والامام بالدرجة الاولى مسؤول عنهما . وقد أدلى ( ع ) بذلك في وصيته لاخيه ابن الحنفية التي اعلن فيها عن اسباب خروجه على يزيد ، فقال ( ع ) " اني لم اخرج أشرا ، ولا بطرا ، ولا ظالما ، ولا مفسدا ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر " .**

**لقد انطلق ( ع ) الى ميادين الجهاد ليقيم هذا الصرح الشامخ الذي بنيت عليه الحياة الكريمة في الاسلام ، وقد انهارت دعائمة أيام الحكم الاموي فقد أصبح المعروف في عهدهم منكرا ، والمنكر معروفا ، وقد انكر عليهم الامام في كثير من المواقف ، والتي كان منها خطابه الرائع امام المهاجرين والانصار ، فقد شجب فيه تخاذلهم عن نصرة الحق و دحض الباطل ، وايثارهم للعافية ، ومما قاله ( ع ) في هذا المجال**

امام اصحابه واهل بيته يوم الطف :" الا ترون الى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه " لقد آثر الموت على الحياة ، لانه يرى الحق قد تلاشى والباطل قد استشرى .

**١٥ – اماتة البدع :**

وعمد الحكم الاموي الى نشر البدع بين المسلمين ، التي لم يقصد منها إلا محق الاسلام ، والحاق الهزيمة به ، وقد اشار الامام ( ع ) إلى ذلك في رسالته بعثها لاهل البصرة يقول ( ع ) : " فان السنة قد اميتت والبدعة قد احييت.

لقد ثار ( ع ) ليقضي على البدع الجاهلية التي تبناها الامويون ، ويحيي سنة جده التي اماتوها ، فكانت نهضته الخالدة من اجل اماته الجاهلية ونشر راية الاسلام .

**١٦ – العهد النبوي :**

واستشف النبي ( ص ) من وراء الغيب ما يمنى به الاسلام من الاخطار الهائلة على أيدي الامويين ، وانه لا يمكن باي حال تجديد رسالته وتخليد مبادئه إلا بتضحية ولده الامام الحسين (

ع ) فانه هو الذي يكون الدرع الواقي لصيانة الاسلام فعهد إليه بالتضحية والفداء ، وقد أدلى الحسين بذلك حينما عدله المشفقون عليه من الخروج الى العراق فقال ( ع ) لهم : " أمرني رسول الله ( ص ) بامر وأنا ماض إليه . . " .

ويقول المؤرخون : ان النبي ( ص ) كان قد نعى الحسين الى المسلمين وإحاطهم علما بشهادتهم وما يعانيه من أهوال المصائب ، وكان – باستمرار – يتفجع عليه ويلعن قاتله ، وكذلك أخير الامام أمير المؤمنين ( ع ) بشهادته وما يجرى عليه ، وقد ذكرنا في الحلقة الاولى من هذا الكتاب الاخبار المتواترة بذلك . . وكان الامام الحسين ( ع ) على علم وثيق بما يجرى عليه فقد سمع ذلك من جده وأبيه وقد أيقن بالشهادة ، ولم يكن له أي أمل في الحياة فمشى إلى الموت بعزم وتصميم امتثالا لامر جده الذي عهد إليه بذلك .

١٧ – العزة والكرامة :

ومن أوثق الاسباب التي ثار من أجلها ابو الاحرار هو العزة والكرامة فقد أراد الامويون ارغامه على الذل ، والخنوع ، فابي

إلا أن يعيش عزيرا تحت ظلال السيوف والرماح ، وقد أعلن سلام الله عليه ذلك يوم الطف بقوله

" الا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ،وهيهات منا الذلة يابى الله لنا ذلك ورسوله ، ونفوس أبية ، وانوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام . . "

.وقال ( ع ) : " لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما . . " .

لقد عانق الموت بثغر باسم في سبيل ابائه وعزته ، وضحى بكل شئ من أجل حريته وكرامته .

١٨ – غدر الامويين وفتكهم :

وايقن الامام الحسين ( ع ) ان الامويين لا يتركونه ، ولا تكف أيديهم عن الغدر والفتك به حتى لو سالمهم وبايعهم ، وذلك لما يلي :

١ – ان الامام كان ألمع شخصية في العالم الاسلامي ، وقد عقد له المسلمون في دخائل نفوسهم خالص الود والولاء لانه حفيد نبيهم وسيد شباب أهل الجنة ، ومن الطبيعي انه لا يروق

للامويين وجود شخصية تتمتع بنفوذ قوي : ومكانة مرموقة في جميع الاوساط فانها تشكل خطرا على سلطانهم وملكهم .

٢ – ان الامويين كانوا حاقدين على النبي ( ص ) لانه وترهم في واقعة بدر ، وألحق بهم الهزيمة والعار ، وكان يزيد يترقب الفرص للانتقام من أهل البيت النبي ( ص ) لياخذ ثاراث بدر منهم ، ويقول الرواة إنه كان يقول :

لست من خندف إن لم انتقم * من بني احمد ما كان فعل

ولما استوفى ثاره وروى احقاده بابادتهم أخذ يترنهم ويقول :

قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلناه ببدر فاعتدل

٣ – ان الامويين قد عرفوا بالغدر ونقض العهود ، فقد صالح الحسن معاوية ، وسلم إليه الخلافة ومع ذلك فقد غدر معاوية به فدس إليه سما فقتله ، واعطوا الامان لمسلم بن عقيل فخانوا به . .

وقد اعلن الامام الحسين ( ع ) ان بني أمية لا يتركونه يقول ( ع ) لاخيه محمد بن الحنفية : " لو دخلت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني " وقال ( ع ) لجعفر بن

سليمان الضبعي :" والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة – يعني قلبه الشريف – من جوفي " .

واختار ( ع ) أن يعلن الحرب ويموت ميتة كريمة تهز عروشهم وتقضي على جبروتهم وطغيانهم .هذه بعض الاسباب التي حفزت أبا الاحرار إلى الثورة على حكم يزيد

راي رخيص :

ووصف جماعة من المتعصبين لبني أمية خروج الامام على يزيد بانه كان من اجل الملك والظفر بخيرات البلاد ، وهذا الراي ينم عن حقدهم على الامام بما احرزه من الانتصارات الرائعة في نهضته المباركة التي لم يظفر بمثل معطياتها أي مصلح اجتماعي في الارض ، وقد يكون لبعضهم العذر لجهلهم بواقع النهضة الحسينية ، وعدم الوقوف على اسبابها ، لقد كان الامام على يقين باخفاق ثورته في الميادين العسكرية ، لان خصمه كان يدعمه جند مكثف أولو قوة واولو باس شديد ، وهو لم تكن عنده أية قوة عسكرية ليحصل على الملك ، ولو كان الملك غايته – كما يقولون – لعاد إلى الحجاز او مكان

آخر حينما بلغه مقتل سفيره مسلم بن عقيل ، وانقلاب الكوفة عليه ، ويعخمل حينئذ من جديد على ضمان غايته ، نجاح مهمته لقد كان الامام على علم بان الاوضاع السائدة كلها كانت في صالح بني امية وليس منها مما يدعمه او يعود لصالحه ، يقول ابن خلدون : " ان هزيمة الحسين كانت امرا محتما لان الحسين لم تكن له الشوكة التي تمكنه من هزيمة الامويين لان عصبية مضر في قريش ، وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف في بني امية ، فعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس لا ينكرونه.

لقد كانت ثورة الامام من اجل غاية لا يفكر بها اولئك الذين فقدوا وعيهم ، واختيارهم فقد كان خروجه على حكم يزيد من اجل حماية المثل الاسلامية والقيم الكريمة من الامويين الذين حملوا معول الهدم . .

يقول بعض الكتاب المعاصرين .

" ويحق لنا أن نسال ما ذا كان هدف الحسين عليه السلام ، وماذا كانت القضية التي يعمل من أجلها ؟ أما لو كان هدفه

شخصيا يتمثل في رغبته في اسقاط يزيد ليتولى هو بنفسه الخلافة التي كان يطمع إليها ، ما وجدنا فيه هذا الاصرار على التقدم نحو الكوفة رغم وضوح تفرق الناس من حوله ، واستسلامهم لابن زياد ، وحملهم السلاح في اعداد كثيرة لمواجهته والقضاء عليه .

ان أقصر الناس نظرا كان يدرك ان مصيره لن يختلف عما آل إليه فعله ، ولو كان الحسين بهذه المكانة من قصر النظر لعاد إلى مكة ليعمل من جديد للوصول إلى منصب الخلافة . . ولو كان هدفه في أول الامر الوصول الى منصب الخلافة ثم لما بلغه مصرع ابن عمه قرروا صلة السفر للثار من قاتليه –كما يزعم بعض الباحثين – استجابة لقضية اهله واقاربه ، لو كان هذا هدفه لادرك ان جماعته التي خرجت معه للثار وهي لا تزيد على التسعين رجالا ونساءا واطفالا لن تصل إلى شئ من ذلك من دون ان يقضى على افرادها جميعا ، وبغير ان يضحي هو بنفسه ضحية رخيصة في ميدان الثار . ومن ثم يكون من واجبه للثار ان يرجع ليعيد تجميع صفوف انصاره واقربائه ،

ويتقدم في الجمع العظيم من الغاصبين والموتورين . فالقضية اذا ليست في الجمع ثار والهدف ليس هدفا شخصيا ، وانما الامر أمر الامة ، والقضية كانت للحق ، والاقدام اقدام الفدائي الذي أراد أن يضرب المثل بنفسه في البذل والتضحية ، ولم يكن اصرار الحسين علىالتقدم نحو الكوفة بعد ما علم من تخاذل أهلها ونكوصهم عن الجهاد إلا ليجعل من استشهاده علما تلتف حوله القلة التي كانت لا تزال تؤمن بالمثل وتلتمس في القادة من ينير لها طريق الجد في الكفاح . . وتحريكا لضمائر المتخاذلين القاعدين عن صيانة حقوقهم ورعاية صوالحهم " . والم هذا القول بالواقع المشرق الذي ناضل من أجله الامام الحسين فهو لم يستهدف أي مصلحة ذاتية ، وانما استهدف مصلحة الامة وصيانتهامن الامويين

# الدرس الثاني
# سمات شخصية العباس عليه السلام

احتلّ أبو الفضل ( عليه السلام ) قلوب العظماء ومشاعرهم ، وصار أنشودة الأَحرار في كلّ زمان ومكان ، وذلك لما قام به من عظيم التضحية تجاه أخيه سيّد الشهداء ، الذي ثار في وجه الظلم والطغيان ، وبنى للمسلمين عزّاً شامخاً ، ومجداً خالداً.وفيما يلي بعض الكلمات القيّمة التي أدلى بها بعض الشخصيات الرفيعة في حقّ أبي الفضل ( عليه السلام )

. 1ـ الإمام زين العابدين:أمّا الإِمام زين العابدين فهو من المؤسسين للتقوى والفضيلة في الإِسلام ، وكان هذا الإِمام العظيم يترحّم . دوماً . على عمّه العبّاس ويذكر بمزيد من الإِجلال والإِكبار تضحياته الهائلة لأَخيه الحسين وكان مما قاله في حقّه هذه الكلمات القيّمة:رحم الله عمّي العباس ، فلقد آثر وأبلى ، وفدى أخاه بنفسه ، حتى قُطعت يداه ، فأبدله الله بجناحين ، يطير بهما مع الملائكة في الجنّة ،كما جعل لجعفر

بن أبي طالب ، وان للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة.. »وألمّت هذه الكلمات بأبرز ما قام به أبو الفضل من التضحيات تجاه أخيه أبي الأَحرار الإِمام الحسين ( عليه السلام ) ، فقد أبدى في سبيله من ضروب الإِيثار وصنوف التضحية ما يفوق حدّ الوصف ، وما كان به مضرب المثل على امتداد التاريخ ، فقد قطعت يداه الكريمتان يوم الطفّ في سبيله ، وظلّ يقاوم عنه حتى هوى إلى الأَرض صريعاً ، وان لهذه التضحيات الهائلة عند الله منزلة كريمة ، فقد منحه من الثواب العظيم ، والأَجر الجزيل ما يغبطه عليه جميع شهداء الحقّ والفضيلة في دنيا الإِسلام وغيره

. 2ـ الإِمام الصادق:أمّا الإِمام الصادق ( عليه السلام ) فهو العقل المبدع والمفكّر في الإِسلام فقد كان هذا العملاق العظيم يشيد دوماً بعمّه العبّاس ، ويثني ثناءً عاطراً ونديّاً على مواقفه البطولية يوم الطفّ ، وكان مما قاله في حقّه: »كان عمّي العبّاس بن علي ( عليه السلام ) نافذ البصيرة ، صُلب

**الإِيمان ، جاهد مع أخيه الحسين ، وأبلى بلاءً حسناً ، ومضى شهيداً.. »وتحدّث الإِمام الصادق ( عليه السلام ) عن أنبل الصفات الماثلة عند عمّه العبّاس والتي كانت موضع إعجابه وهي:**

أ . نفاذ البصيرة:**أمّا نفاذ البصيرة ، فانها منبعثة من سداد الرأي ، وأصالة الفكر ، ولا يتّصف بها إلاّ من صفت ذاته ، وخلصت سريرته ، ولم يكن لدواعي الهوى والغرور أي سلطان عليه ، وكانت هذه الصفة الكريمة من أبرز صفات أبي الفضل فقد كان من نفاذ بصيرته ، وعمق تفكيره مناصرته ومتابعته لإِمام. الهدى وسيّد الشهداء الإِمام الحسين ( عليه السلام ) ، وقد ارتقى بذلك إلى قمّة الشرف والمجد ، وخلدت نفسه العظيمة على امتداد التأريخ ، فما دامت القيم الإِنسانية يخضع لها الإِنسان ، ويمجّدها فأبو الفضل قد بلغ قمّتها وذروتها.**

ب . الصلابة في الإِيمان:**والظاهرة الاَخرى من صفات أبي الفضل ( عليه السلام ) هي الصلابة في الإِيمان وكان من صلابة إيمانه انطلاقه في ساحات الجهاد بين يدي ريحانة رسول الله مبتغياً**

في ذلك الأَجر عند الله ، ولم يندفع إلى تضحيته بأي دافع من الدوافع المادية ، كما أعلن ذلك في رجزه يوم الطفّ ، وكان ذلك من أوثق الأَدلة على إيمانه.

ج . الجهاد مع الحسين: وثمّة مكرمة وفضيلة أخرى لبطل كربلاء العباس ( عليه السلام ) أشاد بها الإِمام الصادق ( عليه السلام ) وهي جهاده المشرق بين يدي سبط رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، ويعتبر الجهاد في سبيله من أسمى مراتب الفضيلة التي انتهى إليها أبو الفضل ، وقد أبلى بلاءً حسناً يوم الطفّ لم يشاهد مثله في دنيا البطولات.

د . زيارة الإِمام الصادق: وزار الإِمام الصادق ( عليه السلام ) أرض الشهادة والفداء كربلاء ، وبعدما انتهى من زيارة الإِمام الحسين وأهل بيته والمجتبين من أصحابه ، انطلق بشوق إلى زيارة قبر عمّه العبّاس ، ووقف على المرقد المعظّم ، وزاره بالزيارة التالية التي تنمّ عن سموّ منزلة العبّاس ، وعظيم مكانته ، وقد استهلّ زيارته بقوله: سلام الله ، وسلام ملائكته المقرّبين ،

وأنبيائه المرسلين ، وعباده الصالحين ، وجميع الشهداء والصدّيقين والزاكيات الطيّبات فيما تغتدي وتروح عليك يا ابن أمير المؤمنين.. ».لقد استقبل الإمام الصادق عمّه العباس بهذه الكلمات الحافلة بجميع معاني الإجلال والتعظيم ، فقد رفع له تحيات من الله وسلام ملائكته ، وأنبيائه المرسلين ، وعباده الصالحين ، والشهداء ، والصدّيقين ، وهي أندى وأزكى تحيّة رفعت له ، ويمضي سليل النبوّة الإمام الصادق ( عليه السلام ) في زيارته قائلاً:وأشهد لك بالتسليم ، والتصديق ، والوفاء ، والنصيحه لخلف النبيّ المرسل ، والسبط المنتجب ، والدليل العالم ، والوصي المبلّغ والمظلوم المهتضم.. »وأضفى الإمام الصادق ( عليه السلام ) بهذا المقطع أوسمة رفيعة على عمّه العبّاس هي من أجلّ وأسمى الأوسمة التي تضفى على الشهداء العظام ، وهي:

أ ـ التسليم:وسلّم العباس ( عليه السلام ) لأخيه سيّد الشهداء الإمام الحسين ( عليه السلام ) جميع أموره ، وتابعه في جميع قضاياه حتّى استشهد في سبيله ، وذلك لعلمه بإمامته القائمة

على الإيمان الوثيق بالله تعالى ، وعلى أصالة الرأي وسلامة القصد ، والإخلاص في النيّة

.ب . التصديق:وصدّق العبّاس ( عليه السلام ) أخاه ريحانة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في جميع اتجاهاته ، ولم يخامره شكّ في عدالة قضيّته ، وانّه على الحق ، وان من نصب له العداوة وناجزه الحرب كان على ضلال مبين.

ج . الوفاء:من الصفات الكريمة التي أضافها الإمام الصادق ( عليه السلام ) على عمّه أبي الفضل ( عليه السلام ) ، الوفاء ، فقد وفى ما عاهد عليه الله من نصرة إمام الحق أخيه أبي عبدالله الحسين ( عليه السلام ) ، فقد وقف إلى جانبه في أحلك الظروف وأشدّها محنة وقسوة ، ولم يفارقه حتى قطعت يداه ، واستشهد في سبيله.لقد كان الوفاء الذي هو من أميز الصفات الرفيعة عنصراً من عناصر أبي الفضل وذاتياً من ذاتياته ، فقد خُلِق للوفاء والبرّ للقريب والبعيد.

د . النصيحة:وشهد الإمام الصادق بنصيحة عمّه العبّاس لأخيه سيّد الشهداء ( عليه السلام ) ، فقد أخلص له في النصيحة

على مقارعة الباطل ، ومناجزة أئمّة الكفر والضلال ، وشاركه في تضحياته الهائلة التي لم يشاهد العالم مثلها نظيراً في جميع فترات التاريخ... ولننظر إلى بند آخر من بنود هذه الزيارة الكريمة ، يقول ( عليه السلام ) : «فجزاك الله عن رسوله ، وعن أمير المؤمنين ، وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرت ، واحتسبت ، وأعنت فنعم عقبى الدار ... ».وحوى هذا المقطع على إكبار الإمام الصادق ( عليه السلام ) لعمّه العبّاس وذلك لما قدّمه من الخدمات العظيمة ، والتضحيات الهائلة لسيّد شباب أهل الجنّة ، وريحانة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) الإمام الحسين ( عليه السلام ) فقد فداه بروحه ، ووقاه بمهجته ، وصبر على ما لاقاه في سبيله من المحن والشدائد مبتغياً في ذلك الأجر عند الله ، فجزاه الله عن نبيّه الرسول الأعظم ( صلى الله عليه وآله ) وعن باب مدينته الإمام أمير المؤمنين ، وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء على عظيم تضحياته. ويستمرّ مجدّد الإسلام الإمام الصادق ( عليه السلام ) في

**زيارته لعمّه العبّاس ، فيذكر صفاته الكريمة ، وما له من المنزلة العظيمة عند الله تعالى ، فيقول بعد السلام عليه:** »أشهد ، وأُشهد الله أنّك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله ، المناصحون له في جهاد أعدائه ، المبالغون في نصرة أوليائه ، الذابّون عن أحبّائه ، فجزاك الله أفضل الجزاء وأوفى الجزاء ، وأوفى جزاء أحد ممن وفي ببيعته ، واستجاب لدعوته ، وأطاع ولاة أمره... »**لقد شهد الإمام الصادق العقل المفكّر والمبدع في الإسلام ، واشهد الله تعالى على ما يقول: من أنّ عمّه أبا الفضل العبّاس ( عليه السلام ) قد مضى في جهاده مع أخيه أبي الأحرار الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، على الخطّ الذي مضى عليه شهداء بدر الذين هم من أكرم الشهداء عند الله فهم الذين كتبوا النصر للإسلام ، وبدمائهم الزكية ارتفعت كلمة الله عالية في الأرض وقد استشهدوا وهم على بصيرة من أمرهم ، ويقين من عدالة قضيّتهم ، وكذلك سار أبو الفضل العبّاس على هذا الخطّ المشرق ، فقد استشهد لإنقاذ الإسلام من محنته الحازبة ، فقد حاول صعلوك بني أميّة حفيد أبي سفيان**

**أن يمحو كلمة الله ، ويلف لواء الإِسلام ، ويعيد الناس لجاهليتهم الاَولى ، فثار أبو الفضل بقيادة أخيه أبي الاَحرار في وجه الطاغية السفّاك ، وتحققت بثورتهم كلمة الله العليا في نصر الإِسلام وإنزال الهزيمة الساحقة بأعدائه وخصومه.**

# الدرس الثالث
# الاعلان عن الثورة الحسينية

أعلن الحسين سلام الله عليه ما صمم عليه ، وأذاع فصول ماساته الخالدة في كثير من المناسبات ، وهذه بعضها .

١ - أدلى بمصرعه ، وهو بمكة في خطابه الذي أعلن فيه الثورة على بني امية ، فقد جاء فيه " وخير لي مصرع أنا لاقيه كاني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا . . . " أليس في هذا الكلام دلالةعلى روعة العزم والتصميم على التضحية ؟ ! أليس فيه اخبار جازم عن
مصرعه الكريم ، وأنه في كربلاء ، فهي التي تحضى بموارة جثمانه الطاهركما أذاع ذلك جده وأبوه من قبل .

٢ - وأعلن الامام العظيم الماسي الاليمة ، والخطوب المفجعة التي تحل باهل بيته من القتل والسبي والاسر ، وذلك حينما أشار عليه ابن عباس بان لا يحمل معه مخدرات النبوة وعقائل الوحي الى العراق ، ويتركهن في يثرب حتى تستقيم له الامور ، فاجابه الامام قائلا :

" قد شاء الله أن يراهن سبايا " .

لقد صحب معه عياله وهو يعلم ما سيجري عليها من الاسر والسبي لان بها سوف تستكمل رسالته ، وتؤدي فعاليتها في القضاء على العرش الاموي واعادة الحياة الاسلامية الى واقعها المضيئ .

٣ – كان الامام يتحدث وهو في طريقه الى العراق من أن راسه الشريف سوف يرفع على الحراب فيطاف به في الاقطار والامصار ، ويهدى الى بغي من بغايا بني أمية كما صنع براس أخيه يحيى بن زكريا حيث أهديالى بغي من بغايا بني اسرائيل

لقد استهان بجميع ما يعانيه في سبيل احقاق الحق ، واعلاء كلمة الله في الارض .وفجر الامام ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب ، وجعلهاعبرة لاولي الالباب ، وهي بجميع مخططاتها جزء من رسالته الاسلام وامتداد

مشرق لثورة الرسول الاعظم ، وتجسيد حي لاهدافه وآماله ، ولولاهالذهبت جهود النبي ، وضاعت آماله ، ولم يبق للاسلام أثر ولا عين .لقد انتصر الامام الحسين ( ع ) وفتح الله له

الفتح المبين ، فقد أشرقت سماء الاسلام بثورته الخالدة ، وتفاعلت تضحيته مع مشاعر الناس

وعواطفهم ، وامتزجت بقلوبهم ، وأصبحت أعظم مدرسة للايمان بالله ،تبث روح العقيدة والفداء في سبيل الحق والعدل ، وتغدي الناس بالقيم الكريمة والمثل العليا ، وتعمل على توجيههم نحو الخير وتهديهم إلى سواء السبيل

لقد أقبل الناس بلهفة على ماساة أبي الاحرار ، وهم يمنعون النظرفي فصولها ويقتبسون منها أروع الدروس عن الكرامة والتضحية ،والبطولات الخارقة والعزة التي لا يلويها الظلم والجور .إن الانسانية لتنحني اجلالا واكبارا للامام العظيم الذي رفع راية الحق عالية خفاقة . وتبنى حقوق المظلومين ، ودافع عن مصالح المضطهدين . . .

وانها لتمجد ذكره أكثر مما تمجد أي مصلح اجتماعي في الارض ، وقد أحرز الامام العظيم بذلك من النصر ما لم يحرزه غير من المصلحين في العالم .

لقد كان من أوليات النصر الذي حققه الامام تحطيم الكيان الاموي فقد وضعت ثورته الخالدة العبوات الناسفة في قصور الامويين ، وألغمت طريقهم ، فلم يمض قليل من الزمن حتى تفجرت فاطاحت برؤوس الامويين واكتسحت نشوة نصرهم ، وجعلتهم أثرا بعد عين ، ويعرض هذا الكتاب بصورة موضوعية إلى بعض ما قدمته الثورة من المعطيات المشرقة على الصعيد الفكري والاجتماعي للعالم الاسلامي .

ولن يستطيع التاريخ الاسلامي أن ياخذ حظه من الحياة اذا كان مثقلا بالقيود والاغلال ، ولم يخضع للدراسة والنقد ، فلا بد أن تتسلط مجاهر البحث العلمي النزيه على أحداثه ، وتدرس بدقة وتجرد ، شان غيره من تاريخ الاممم الحية التي تتناول أحداثه أقلام المفكرين والباحثين بكثير من العمق والتحليل ، فان دراسة التاريخ عندهم تحتل الصدارة في دراساتهم الثقافية والعلمية .

إنا إذا أردنا للتاريخ الاسلامي أن يزدهر ، ويساير النهضة الفكرية ، والتطور العلمي في هذه العصور ، فلا بد من دراسته

دراسة واعية تعتمد على المناهج العلمية ، وعلى التجرد من النزعات المذهبية والتقليدية ، فننظر بدقة إلى الاحداث الجسام التي دهمت المسلمين في عصورهم الاولى فانها – فيما تعتقد – مصدر الفتنة الكبرى التي اخلدت لهم المصاعب ، وجرت لهم الفتن والخطوب على امتداد التاريخ .

إن البحث عن التاريخ الاسلامي في تلك الحقبة الخاصة من الزمن إذا لم يعرض لتلك الاحداث بالبسط والتحليل ، ولم يلق الاضواء على دوافعها ومجرياتها فانه يكون بحثا تقليديا لا روح فيه ، ولا ثمرة تعود فيه على القراء .

# الدرس الرابع
# طبيعة الحكم الأموي

في شهر ( جمادي الأول . سنة ٤١ هـ ) وبعد صلح الإمام الحسن تم لمعاوية ما كان يريده ويسعى اليه ، فقد أصبح هو الخليفة والحاكم على الأمة الإسلامية جمعاء .ودخلت الأمة في نفق الحكم الأموي ، حيث لم تعد مبادئ الإسلام وأنظمته هي المرجع والمقياس ، وإنما هي ارادة الحاكم يعمل كيف يشاء وما يشاء ، وحتى لا تزاحمه أي ارادة اخرى ولا يجرأ أحد على معارضته فقد بدأ في تنفيذ مخطط لتصفية كل رجالات المسلمين الأحرار الشرفاء وكان من ضحايا ذلك المخطط . الإمام الحسن بن علي حيث دسّ اليه السم ، وحجر بن عدي الصحابي الجليل ، وعبد الرحمن بن حسان العنزي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ربيعة ، وشريك بن شداد الحضرمي ، وكدام بن حيان العنزي ، ومحرز بن شهاب التميمي ، والصحابي العالم رشيد الهجري والصحابي العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي ، واوفى بن حصن ، وجويرية بن

مسهر العبدي ، وعبدالله بن يحيى الحضرمي ، وغيرهم من شخصيات الأمة وأفاضلها المخلصين .كما عمل الحكم الأموي على تعبئة أجواء الرأي العام ضد أهل البيت ( عليهم السلام ) ، وسن سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر وفي خطب الجمعة ، وفرض ذلك على جميع عماله وولاته ومن أبى منهم عزله ، وبقي ذلك سنّة الى عهد عمر بن عبد العزيز حيث أمر بإلغائه حين تولى الخلافة سنة ( ٩٩ هـ ) أي أن سب الإمام علي استمر أكثر من نصف قرن من سنة ( ٤١ الى سنة ٩٩ هـ ) .وازدادت الضغوط القمعية على أهل البيت وشيعتهم من قبل الحكم الأموي ، فقد رفع معاوية مذكرة الى جميع عماله وولاته جاء فيها : أنظروا الى من قامت عليه البينة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه .ثم شفع ذلك بنسخة أخرى جاء فيها : ومن أتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره .وتحدث الإمام الباقر عما جرى على أهل البيت وشيعتهم من الأضطهاد والأذى في زمن معاوية ، فقال : « وقتلت شيعتنا بكل بلدة

وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة ، وكان من يذكر بحبنا والإنقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ».اضافة الى اظهار الفساد والمخالفة للدين ، كتعطيل الحدود وممارسة الخلاعة والمجون ، واستلحاق معاوية لزياد بن أبيه ، والجرأة الصريحة على مخالفة الأحكام الشرعية من قبل معاوية حتى في العبادات كالأذان في صلاة العيد والخطبة قبل صلاة العيد ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، والتطيب في الاحرام واستعمال أواني الذهب والفضة ، ولبس الحرير .وقد ساءت أوضاع الناس الاقتصادية لأن معاوية كان يستأثر هو ومن حوله بأموال المسلمين ويضعون عليهم مختلف الضرائب ، وكان معاوية يرى لنفسه الحق في التصرف كما يشاء في ثروات الأمة بينما يتضور الفقراء والمستضعفون جوعاً وحرماناً ، وينقل عنه قوله . الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت من مال الله فهو لي وما تركته كان جائزاً لي.وذكر ابن حجر أنه جاء بسند رجاله ثقات : إن معاوية خطب يوم جمعة فقال : إنما المال مالنا ، والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ، ومن شئنا منعناه وفي ( ربيع الأبرار )

قال : خطب معاوية فقال :إن الله ( تعالى ) يقول : ( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ) فعلام تلومنني اذا قصرت في إعطائكم.كما سلط معاوية على الأمة ولاة جفاة قساة نشروا الرعب والبطش ، وحكموا الناس بالأرهاب والقمع مثل سمرة بن جندب والذي استعمله زياد على البصرة نائباً عنه فأسرف في قتل الأبرياء وازهاق الأنفس بغير حق ، فقد حدث محمد بن سليم وقال :سألت أنس بن سيرين : هل كان سمرة قتل أحداً ؟ . فاندفع أنس بحرارة والتأثر بادياً عليه قائلاً : وهل يحصى من قتل سمرة بن (جندب ؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس . فقال له زياد : هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً ؟ . فأجابه سمرة : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيتومن ولاة معاوية الظالمين : بسر بن أرطاة ، والذي وجهه الى اليمن ففعل فيها الأفاعيل المنكرة التي لم يشهد التاريخ نظيراً لها في فظاعتها وقسوتها ، وذكر الرواة أن بسر بن أرطاة قتل ثلاثين ألفاً من المسلمين عدا من أحرقهم بالنار.ومن أخطر ولاة معاوية

وأكثرهم جوراً وظلماً زياد بن أبيه وقد ولاه معاوية البصرة والكوفة وسجستان وفارس والسند والهند .هكذا عاشت الأمة الإسلامية في ظل الحكم الأموي ، وبمراجعة بسيطة لكتب التاريخ يرى الأنسان صور الظلم الفظيعة البشعة التي سجلها الأمويون في تاريخ حكمهم الأسود .لمشروع الردة الى الجاهلية ختم معاوية بن أبي سفيان حياته باستخلاف ولده يزيد على الأمة ، ليبدأ بذلك عهد الملك العضوض والحكم الوراثي العائلي ، خلافاً لما أقره الإسلام وتعود عليه المسلمون .ولم تكن لدى يزيد أدنى مؤهلات الحكم والخلافة ، فقد كان كلفاً بالصيد لاهياً به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه ، كما كان ولعاً بالقرود وله قرد يجعله بين يديه ويكنيه بأبي قيس ، ويسقيه فضل كأسه كما كان مدمناً على شرب الخمر .يقول الحسن البصري ضمن تعداده لموبقات معاوية : واستخلاف ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير .وقد اعترض كبار الصحابة على معاوية حينما أراد مبايعة ولده يزيد

بولاية العهد ، وعقد مجلساً في المدينة المنورة ضم نخبة من أفاضل الصحابة ليخبرهم برغبته في تعيين ولده يزيد ولياً لعهده ، فانبرى له عبدالله بن جعفر بن أبي طالب زوج السيدة زينب قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه : »أما بعد : فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن فأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، وإن أُخذ فيها بسنة رسول الله فأولوا رسول الله ، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول ؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه ، ولأُطيع الرحمن ، وعُصي الشيطان ، وما اختلف في الأمة سيفان ، فاتق الله يا معاوية فانك قد صرت راعياً ونحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسؤول عنها غداً ».واندفع عبدالله بن عمر فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه : »أما بعد : فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ، ولا كسروية ، يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي ، فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى ، الا أن الخلافة ليست شرطاً

مشروطاً ، وإنما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلاً ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم ممن كان أتقى وأرضى ».. وبنفس المضمون تكلم عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن الزبير ، الا أن معارضة هؤلاء الصحابة وغيرهم من أعيان الأمة لم تؤثر في عزم معاوية على فرض ولده حاكماً من بعده ، بل شهر سلاح التهديد أمام المعارضين ، وقال ناطق بإسم معاوية في حضوره وهو يزيد بن المقفع : أمير المؤمنين هذا . وأشار الى معاوية . فان هلك فهذا . وأشار الى يزيد . ومن أبى فهذا . واشار الى السيف ..ومات معاوية في شهر رجب سنة : ( ٦٠ هـ ) وأصبح ولده يزيد خليفة وحاكماً على المسلمين .الحسين يرفض البيعة : وكتب يزيد الى الوالي الأموي على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يطلب اليه أخذ البيعة قسراً من كبار الصحابة وفي مقدمتهم الإمام الحسين ( عليه السلام ) .وفي منتصف الليل استدعي الإمام الحسين الى مجلس الوليد ، وطلب منه البيعة الى يزيد ، فأجاب الإمام : « إن مثلي لا يبايع سراً ، ولا يجتزي بها مني سراً ، فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم للبيعة ،

**دعوتنا معهم كان الأمر واحداً » .وقبل الوليد كلام الإمام الحسين لكن مروان بن الحكم والذي كان جالساً الى جانب الوليد رفض ما قاله الإمام وطالب الوليد بإجبار الحسين على البيعة فوراً ! ! .ورداً على هذا التهديد أعلن الإمام الحسين موقفه الرافض لبيعة يزيد قائلاً : « أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومحل الرحمة ، بنا فتح الله ، وبنا ختم ، ويزيد رجل فاسق ، شارب خمر ، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ، وننظر وتنظرون أينا أحقّ بالخلافة والبيعة ».**

# الدرس الخامس
## خطاب زينب في مجلس يزيد

كان موقف السيدة زينب في مجلس يزيد بن معاوية من اروع مواقف الدفاع عن الحق ، وتحدي جبروت الطغيان والظلم . فيزيد بن معاوية كان أمامها متربعاً على كرسي ملكه ، وفي أوج قوته ، وزهو انتصاره ، تحف به قيادات جيشه ، ورجالات حكمه ، وزعماء الشام ، وتشير الروايات التاريخية الى حضور بعض الدبلوماسيين الأجانب كرسول قيصر ملك الروم ، وبالتالي فقد كان يزيد حريصاً على التمتع بكامل هيبته ، والظهور بأعلى درجات القوة والسيطرة .وتعرف السيدة زينب فظاظة يزيد وغلظته ، وتهوره في القمع والأرهاب ، وإن أي استفزاز له يمكن أن يدفعه الى أسوأ الأجراءات فليس له رداع من دين أو عقل .كما أن أجواء المجلس كانت مهيأة ومعدة ليكون الإجتماع مهرجاناً للأحتفال بانتصار الحاكم على ثورة أهل البيت .من ناحية أخرى فقد كانت السيدة زينب في

ظروف بالغة القسوة والشدة ، جسدياً ونفسياً ، فهي لا تزال تعيش تحت وطأة الفاجعة وتأثيرها الهائل على أحاسيسها ومشاعرها ، ولأجواء الشماتة والأذلال التي استقبلتها في الشام وقع كبير على نفسها ، ومجرد حضورها سبية أسيرة في مجلس عدو ظالم حاقد قد ارتضع وتوارث عداء أسرتها منذ عهود وعقود ، وهي من هي في خدرها وصونها وعزها ، إن ذلك وحده كفيل بتحطيم المعنويات وهزيمة الروح .وجسدياً فإن السفر كان مرهقاً وشاقاً ، حيث كان السير حثيثاً تنفيذاً لرغبة السلطة في الوصول بأسرع وقت الى الشام ، ومراكب السفر وهي الجمال لم تتوفر لها أدنى وسائل الراحة التي اعتادها المسافرون في ذلك الزمن .والمرافقون العسكريون لقافلة السبايا كانوا جفاة صلفين في تعاملهم مع النساء والأطفال كزجر بن قيس وشمر بن ذي الجوشن ، حيث يقذفون السبايا بالشتم والسب ويضربونهم بالسياط لأدنى مناسبة .

وعامل الجوع والعطش كان له دور في انهاك السيدة زينب وارهاقها حيث كان الجنود يقترون على السبايا في الطعام

والشراب ، مما يدفع السيدة زينب للتنازل عن حصتها لسد جوع وعطش الأطفال ، متحملة مضاضة الجوع والعطش . ويصف الأستاذ عبد الباسط الفاخوري حالة قافلة السبايا الى الشام بقوله : « ثم إن عبيدالله جهز الرأس الشريف وعلي بن الحسين ومن معه من حرمه بحالة تقشعر منها ومن ذكرها الأبدان ، وترتعد منها مفاصل الأنسان بل فرائص الحيوان » اضافة الى كل ذلك فقد أحيط دخول السبايا الى الشام وحضورهم في مجلس يزيد باجراءات بالغة الصعوبة قصد منها ايقاع أكبر قدر من الأذلال والهوان بنفوس السبايا .وقبل ادخالهم على يزيد أوقفوهم فترة على درج باب المسجد حيث مكان ايقاف سبي الكفار ، ثم أتوا اليهم بحبل أوثقوهم به كتافاً وقد كانت بداية الحبل في عنق علي بن الحسين ونهايته في عنق السيدة زينب ، كما تربق الأغنام ، وساقوهم باذلال ، وكلما قصروا عن المشي ضربوهم بالسياط ، والسبايا يكبرون ويهللون ، حتى أوقفوهم بين يدي يزيد في مجلسه وهو متربع على سريره ، فالتفت اليه علي بن الحسين قائلاً : « ما ظنك

بجدنا رسول الله لو يرانا على مثل هذه الحالة » ؟ .فتأثر يزيد ولم يبق أحد في مجلسه الا وبكى ، وأمر يزيد بالحبال فقطعت ودعا يزيد برأس الحسين ووضعه أمامه في طست من ذهب ومع يزيد قضيب فهوى ينكت به في ثغره ثم قال : إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المرى :

يفلقن هاماً من رجال أحبّة * الينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقام رجل من أصحاب رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يقال له « أبو برزة الأسلمي » فقال : أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين ؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يرشفه ! أما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد ( صلى الله عليه وسلم ) شفيعه .ثم قام فولى.وتمادى يزيد في اظهار شماتته وفرحه وصرح بما في مكنون نفسه من انه ينتقم من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ومن أهل بيته حيث صار يتمثل بابيات شعر لعبدالله بن الزبعرى جاء فيها :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

وسمعت العقلية زينب ترنم يزيد بهذ الأبيات ، التي يعلن فيها كفره بالرسالة والوحي ، وإن دافعه الى قتل أهل البيت هو الأنتقام وأخذ ثأر قتلى المشركين في بدر ، ورأته كذلك يعبث برأس أخيها الحسين . . هنا قررت السيدة زينب أن تتحمل مسؤليتها في مواجهة هذا الكفر الصريح ، وأن تمارس دورها الرسالي في اعلان الحق ، فتفجر بركان ارادتها الأيمانية ، ووقفت خطيبة قائلة : »الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله ( سبحانه ) حيث يقول : ( ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ).أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى . أن بنا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة ؟ .وأن ذلك لعظم خطرك عنده ؟ فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسرورا ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقه ، والأمور متسقة ، وحين صفالك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً ، لا تطش جهلاً ، أنسيت قول الله ( تعالى ) ( ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم

خير لأنفسم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ) أمن العدل يابن الطلقاء ! .تخديرك حرائرك واماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدوبهن من بلد الى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ، ولا من رجالهن ولي ؟ .وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟ .وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن ، والإحن والأظغان ؟ .ثم تقول غير مستأثم ولا مستعظم :

لأهلوا وأستهلوا فرحاً * ثم قالوا يا يزيد لا تُشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة ، تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك ؟ وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، بإراقتك دماء ذرية محمد ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب .وتهتف بأشياخك ، زعمت أنك تناديهم ، فلتردن وشيكاً موردهم ، ولتودّنّ أنك شللت وبكمت ، ولم

تكن قلت ما قلت وفعلت .اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا .فهوالله ما فريت الا جلدك ، ولا حززت الا لحمك ، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في ذريته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم : ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) (.وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد خصيماً وبجبرئيل ظهيراً .وسيعلم من سوّل لك ، ومكنك من رقاب المسلمين ( بئس للظالمين بدلاً ) أيّكم ( شر مكاناً وأضعف جنداً ) ؟ .ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى ! ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ! ! فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي ، تنتابها العواسل ، وتعفرها أمهات الفراعل ! ! ولئن اتخذتنا مغنماً ، لتجدنا وشيكاً مغرماً ،

حين لا تجد الا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد ، والى الله المشتكى وعليه المعول .فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها .وهل رأيك الا فند ؟ وأيامك الا عدد ؟ وجمعك الا بدد ؟ .يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين .والحمد لله رب العالمين ، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة ، والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعمة الوكيل ».

تاملات في هذه المخاطبة

إن خطاب السيدة زينب ( عليها السلام ) في مجلس يزيد يعتبر وثيقة فكرية سياسية تسلط الأضواء على خلفيات المعركة بين أهل البيت والأمويين كما تناقش بعض التفاصيل والقضايا الهامة في تلك المعركة ، وتقدم استشرافاً وتصوراً مستقبلياً لآثار المعركة ونتائجها .ونشير فيما يلي الى أبرز وأهم آفاق هذا الخطاب الرائع العظيم :

أولاً : المعركة في منظار القيم والمبادئ فالأمويون وان كانوا يتظاهرون بالأسلام ، ويحكمون باسمه ، الا أنهمؤيتعاملون مع الحياة ، وينظرون للأمور حسب المعادلات المادية ، وضمن دائرة المصالح الدنيوية العاجلة بعيداً عن القيم والمبادئ . ويريدون لجمهور الأمة أن ينظر الى واقعة كربلاء من منظارهم المادي الجاهلي ، حيث يصرح يزيد بأنه قد قام بأخذ ثارات بدر ومعارك الإسلام الأولى ضد أسلافه المشركين ، والمسألة في نظر الأمويين لا تعدو أن تكون دفاعاً عن عرش السلطة وكرسي الحكم ، وهو أمر مشروع بالعقلية المصلحية .ويرى الأمويون أن القوة التي بأيديهم ، والأنتصارات التي أحرزوها ، تكفي دليلاً على أحقيتهم وشرعيتهم كواقع يفرض نفسه .وفي مواجهة هذا المنطق الأموي المادي الأنتهازي كانت السيدة زينب في خطابها تؤكد على الرجوع الى القيم والمبادئ الدينية والأحتكام اليها في تقويم الواقع وتفسير أحداثه ، فلابد من محاكمة ما يجري على ضوء كتاب الله ، والنظر الى المعركة من خلال الرؤية الدينية التي يريد الأمويون تغييبها والغاءها في واقع

حياة المسلمين .لذلك تذكر يزيد بن معاوية بأن لا ينظر الى نفسه من خلال ما يملك من قوة وسلطة : « أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء » . فليس في ذلك دلالة على الأحقية والمشروعية والرضا الآلهي ، فقد يفسح الله المجال واسعاً أمام الكافرين لتتضاعف قوتهم وامكانياتهم دون أن يعني ذلك أحقيتهم أو رضا الله عنهم ، بل يكون ذلك سبباً لزيادة انحطاطهم وعذابهم عند الله .والحسين وأهل بيته ليسوا مهزومين مغلوبين قد خسروا الحياة وابتلعهم الموت بل هم وفق مقياس المبادئ الآلهية شهداء خالدون وأحياء عند ربهم ، لأنهم قتلوا في سبيل الله .واذا كانت المآسي قد حلت بأهل البيت فانهم يحتسبونها عند الله ، حيث لم تحدث لهم في سياق صراع دنيوي مصلحي وإنما لأنهم يحملون رسالة الله ويدافعون عن دينه ، وحسب المبادئ والقيم فهناك عدالة آلهية ، وهناك دار أخرى تكون فيها النتائج الحاسمة : « وحسبك بالله حاكماً وبمحمد خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ولتردن على رسول الله » .والصراع بين أهل البيت

والأمويين في نظر السيدة زينب ليس صراعاً قبلياً على الزعامة ، بل هو مظهر وامتداد للصراع الأبدي الدائم بين الخير والشر ، بين حزب الله وحزب الشيطان .

ثانياً : . ادانة الجرائم الأموية ففي مجلس يزيد وأمامه وبحضور أتباعه ومؤيديه ، أعلنت السيدة زينب الأدانة والأستنكار لما ارتكبه من جرائم بحق أهل البيت ، وأوضحت مظلومية أهل البيت وعمق مأساتهم بقتل رجالات أهل البيت ، وسوق نسائهم سبايا بتلك الحالة المفجعة ، وترك جثث أهل البيت دون مواراة . كما توبخه بشدة على أقواله التي تنضح كفراً وتشكيكاً في الدين ، وتعنفه على ما فعله برأس أخيها الحسين .ومن يعرف مدى غرور يزيد وتجبره يدرك وقع هذا التوبيخ والأدانة على نفسه .يقول المرحوم الأستاذ توفيق الفكيكي : وكان الوثوب على أنياب الأفاعي ، وركوب أطراف الرماح ، أهون على يزيد من سماع هذا الأحتجاج الصارخ.

ثالثاً : ـ الجذور العائلية الفاسدة فسياسات يزيد المنحرفة ، ومواقفة الفاسدة ، لم تنطلق من فراغ ، وإنما هي امتداد

واستمرار لسلوكيات أسلافه المشركين والمنافقين ، لذلك تذكره السيدة زينب بجدته « هند » أم معاوية وزوج أبي سفيان ، والتي قادت حملة التأليب والتحريض على قتال رسول الله والمسلمين ، وأغرت « وحشي » بقتل الحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ، ثم مثلت بجسمه وانتزعت كبده وحاولت مضغها بأسنانها ، اظهاراً لحقدها البشع ، وبغضها المتوحش لرسول الله وذويه ، ويزيد في اعتداءاته الأليمة على أهل البيت لم يأت بشيء غريب ، وإنما هو شر خلف لشر سلف ، تقول ( عليها السلام ) « وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء » .وتتوعده السيدة زينب بأن مصيره هو مصير أسلافه عتبة وشيبة والوليد وانه لاحق بهم في نار جهنم : « وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم »

رابعاً : الأشادة بأهل البيت : في مجتمع تربى على بغض أهل البيت ، وفي أجواء معباة ضد الأسرة العلوية ، ووسط مجلس انعقد للشماتة بمقتل الحسين ، تقف السيدة زينب صادحة

بالحق ، مشيدة بفضائل أسرتها الكريمة .فهي تخاطب يزيد معلنة للأمة أن هذه الدولة والكيان الاسلامي إنما أشادته سيوف بني هاشم ، وتضحيات آل الرسول بالدرجة الأولى « وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا » فأهل البيت هم القادة الحقيقيون لهذه الأمة وهم الأولى بالسلطة والحكم .ولأهل البيت فضل عظيم على يزيد بالذات فأبوه وجده وأسرته هم طلقاء عفو رسول الله عند فتح مكة لذلك تخاطبه العقيلة : « أمن العدل يا ابن الطلقاء » .أما شهداء كربلاء فتصفهم السيدة زينب بأنهم : « ذرية محمد ونجوم الأرض من آل عبد المطلب » وتذكر أخاه الحسين باعتباره : « سيد شباب أهل الجنة » .وتعتز السيدة زينب بفضل اسرتها وأمجادها العظيمة قائلة : « والحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة »

.خامساً : المستقبل لمن ؟يتبختر يزيد بانتصاره على أهل البيت ، ويظن أنه كسب المعركة لصالحه ، ووسائل أعلامه تكرر وتجتر هذا الوهم على مسامع الناس ، لكن العقيلة زينب

تسنف أوهامه ، وتسفه أحلامه ، وتقرر أمام مجلسه الحاشد أنه قد تلطخ بأوحال الهزيمة ، وسقط في حضيض الهوان ، وإن تظاهر بالنصر وتراءى له الظفر .أنها تتحدى يزيد في أن يتمكن من تحقيق هدفه بطمس خط أهل البيت ، مهما جند من قواه واستخدم من قدراته : فكد كيدك واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا » فخط أهل البيت يمثل الحق والعدل ن ويجسد الوحي الآلهي ، وسوف تبقى البشرية متطلعة للحق والعدل وسوف يظهر الله دينه على الدين كله .كما تظهر العقيلة سخريتها واحتقارها لمظاهر القوة التي أحاط بها يزيد نفسه : »وهل رأيك الا فند ، وأيامك الا عدد ، وجمعك الا بدد » .ورهان السيدة زينب على النصر وثقتها بالظفر ليس محجماً بحدود الدنيا الفانية ، بل تتطلع للآخرة هناك حيث عدالة الله ، وحيث تكون العاقبة للمتقين ، والنار والخزي للظالمين .

سادساً : العزة الأيمانية تلك المرأة السبية الأسيرة التي سيقت الى مجلس يزيد مكتفة بالحبال ، تقف أمام الحاكم المتغطرس

المتجبر صارخة به : « يا ابن الطلقاء » ومنذرة له : « ولتودّن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت » وداعية عليه : « اللهم خذلنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا » .وتتحداه قائلة : « فوالله ما فريت الا جلدك ولا حززت الا لحمك » وتكرر تحديها له هاتفة : « فكد كيدك واسع سعيك » . وبصراحة أوضح تبدي احتقارها له وأنها أكبر وأسمى من أن تكلمه أو تخاطبه لولا ما فرضته عليها الظروف فتقول : « ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك ، واستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك » .فمن يداني ابنة علي في شجاعتها وعزتها وبطولتها ؟ .إنها ابنة أبيها وهي تفرغ عن لسانه وروحه .لذلك تحطمت كبرياء يزيد أمامها وانهار غروره ، وأصابته الحيرة والأرتباك ، فلم يزد أن تمثل بعد خطابها بقول الشاعر :

يا صحيحة تحمد من صوائح * ما أهون النوح على النوائح

**وكأنه يفسر خطاب السيدة زينب بأنه نوع من الأنفعال الطبيعي لما تعانيه من مصيبة ! !**